

رسالة ملكية إلى المشاركين في المؤتمر الثاني لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة إلى المشاركين في المؤتمر الثاني لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي المنعقد بالرباط ما بين 22 و24 رجب 1419 الموافق 12 و14 نونبر 1998.

وقد بلي نص الرسالة الملكية التي تلاها السيد محمد الأشعري، وزير الشؤون الثقافية، خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السادة الوزراء،

أيها السادة والسيدات،

يطيب لنا أن نعبر لكم عما يخامرنا من سعادة لاستقبال المغرب للمؤتمر الثاني لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي والترحيب بهم للمشاركة في هذا المؤتمر الهام نظرا لما تمثلونه حضرات السادة الوزراء من دول إسلامية شقيقة تعزز بالروابط الأخوية التي تجمعكم وملوكها وأمراءها ورؤسائها من ناحية ولما تمثلونه من قيم الثقافة التي تسهرن بوصفكم وزراء أوصب، على تفعيلها واستمرارها وتنمية فعاليتها من ناحية أخرى.

ولا ريب في أن هذا المؤتمر الذي ينظمكم للمرة الثانية والذي أعدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بسخاء جهد وأحكام تنظيم لدراسة تطبيق الاستراتيجية الثقافية بعد المصادقة عليها من لدن مؤتمر القمة الإسلامي السادس يلقى من الاهتمام لدى سائر الدول الإسلامية الشقيقة ما يلقاه لدينا متطلعين جميعا إلى تحقيق ما ينشده مؤتمركم من أهداف وما

يتوخاه من نتائج. ولذلك لا يسعنا إلا أن نحمد للمنظمة الإسلامية (الأيبيسكو) ما قامت به في سبيل عقد هذا المؤتمر وما يتوالى من نشاطها في اعتماد استراتيجية ثقافية إسلامية وتطبيقها على أفضل وجه ممكن.

حضرات السادة والسيدات،

غير خاف عليكم أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إنما أنشئت استجابة لوعي عالمنا الإسلامي بضرورة مواجهة تحديات التخلف الكامن في معوقات استثمار الموارد البشرية في مجتمعاتنا في سياق التخطيط لسياسات التنمية الهادفة إلى جعل هذه الموارد تتجاوب على نحو أجدى وأفضل مع تلك السياسات وبذلك قام تأسيس المنظمة على الركائز الثلاثة الضرورية لكل تنمية أو تحديث وهي التربية والعلم والثقافة. وبذلك انتقل العمل الثقافي الإسلامي إلى مرحلة التخطيط العلمي المبني على دراسة معطيات واقع المجتمعات الإسلامية واستثمار إمكاناتها البشرية والمادية وتحليل معوقاتهما واستحضار كل مستجدات والتحديات ومواجهة التحديات.

وها أنتم تجتمعون اليوم في مؤتمر يستهدف النظر والتقويم لإحدى هذه الركائز الأساسية ألا وهي الثقافة لمناقشة ما تم إنجازه واستشراف ما تتطلب إليه بما يتطلبه الشأن الثقافي من الأناة في التحليل والعقلانية في التخطيط والنجاعة في الوسائل.

حضرات السادة والسيدات

لقد ذكرنا في مناسبة سابقة بالنسبة لهذه المنظمة أن عالمنا الإسلامي ما يزال دون ما تتطلبه شروط الحياة الكريمة لأبنائه بالرغم مما يملكه من

طاقات بشرية ومادية هائلة وما أنعم الله به علينا من نعمة الإسلام وهذه الاستضافة بنور سناء حتى أن المرء ليعجب مما يطبع واقعنا من تناقض صارخ بين الواقع والمثال. ومهما تكن عوامل هذا الواقع الذي ما يزال يشكو ظواهر الفقر والتخلف والتهيش، فإن ما يتعين علينا أن نضعه نصب أعيننا لهُو القضاء على معوقاتنا الذاتية وتكسير أطواقها عن الغالبية العظمى في مجتمعاتنا عن طريق التربية والتثقيف والتأهيل لاستثمار موارد البشرية واعتقاد هذا الاستثمار في التنمية الشاملة التي يعتبر العنصر الإنساني غايتها ووسيلتها في آن واحد. ومن هنا تكتسب الاستراتيجية الثقافية أهميتها وقدراتها على تحقيق تلك الأهداف ورنع التحديات والقضاء على المعوقات الذاتية للعالم الإسلامي في مواكبة العمل السياسي الجاري في هذا الاتجاه بالنظر لما تتضمنه عملية التثقيف من معاني التقرير للفكر والتفعيل لقواه والتمثل للمعارف وتسخير الطاقات الإنسانية في سبيل العمل المدرج ومواكبة حضارة عصرنا مواكبة متوازنة بإثبات قدراتنا على التفاعل معها، والتعايش مع مختلف إبداعاتها وتطلعاتها من موقع التمييز الذاتي والهوية الإسلامية فضلاً عما تتميز به هذه العملية التثقيفية حين نلتزم بالقيم الإسلامية، من صياغة شخصية المسلم صياغة محفزة على العمل عاصمة من الزلل متشعبة بالتعاون على البر والتقوى ونبذ الإثم والعدوان، علاوة على ما لهذه الاستراتيجية من أهداف تتوخى تقوية التعاون الشقائي بين الدول الأعضاء لجعل التضامن الإسلامي بينها سلوكاً ثقافياً لا يتخلف، لا سيب في عصر كعصرنا غدت فيه الشفافة مطلباً حيوياً في مشروعات التنمية ودعم التعايش وتحقيق السلام وإحقاق حقوق الإنسان.

ولهذه الغاية، كان لا بد من وضع خطة ثقافية إسلامية شاملة تكون بمثابة الإطار العام للسياسات الثقافية في كل البلدان الإسلامية أو بمثابة القاسم المشترك بين هذه البلدان تعمل على توحيد وجدان أبنائها في ترسيخ قيم التضامن الإسلامي وتقريب المسافات الفاصلة بينهم مذهبياً أو ثقافياً بالإضافة إلى تنشئة أجيالنا على التعلق بقيمة الإسلام الأساسية والتمسك بأخلاقه العالية ليكونوا بمنجاة من التضييل والتطرف أو الانسياق للمزمرات السلبية ويؤمن الأعطاب النفسية التي تنغشى في المجتمعات المتقدمة من غياب الإيمان بالله وغياب الروادع الأخلاقية.

ومهما يكن لهذه الاستراتيجية الثقافية الإسلامية التي نشهد تطبيقها من مميزات أساسية، أو تحديد أولويات أو توقيت مراحل وأطوار، فإنها لا تستغني عن الرؤية الواضحة إلى مفهوم الثقافة الإسلامية وعن توحيد هذه الرؤية بالنسبة لنا جميعاً ليكون سعينا إلى تحقيقها سعياً منزهاً لا خلل فيه ولا تناقض، وإسهامنا في تفعيل آلياتها إسهاماً مبنياً على الإقتناع بحسن الاختيار.

وقد يقع الاختلاف فيما عدا هذه الرؤية من تفاصيل ومناهج وترتيب أولويات كما قد يقع الاختلاف بسبب ما يقع فيه البعض من خلط بين مطالب الهوية الإسلامية والهوية القومية ذلكم أننا وإن كنا أمة واحدة من حيث العقيدة والرسالة، فإننا شعوب متعددة، غنية بتنوع خصوصياتها الثقافية، فليكن لنا هذا التنوع والتعدد مصدر قوة وثراء وإبداع وحافزاً على الوحدة والتضامن عن طريق توحيد الرؤية إلى القيم التي عليها علينا ديننا ولا يقبل التقريط فيها بحال من الأحوال، فبهذه القيم نعصم أجيالنا الصاعدة من الشر والفساد والاختلاف وفككتها من أسباب التعايش والائتلاف.

حضرات السادة والسيدات،

علينا أن نجعل من الاستراتيجية الثقافية إطاراً ثابتاً للعسل الثقافي الذي تسعى إليه فرادى وجماعات وسياسة قائمة على مجموعة من الثوابت كالحفاظ على الهوية الإسلامية بمقرماتها الأساسية في الكتاب والسنة والحفاظ على وسائل هذه الهوية من لغة تصلنا بكتاب الله ونسمعنا خطابه المعجز في كل آن وكالحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي الخقل بعناصر القوة والتجديد وكاستيعاب العلوم والمعارف والخبرات بمختلف اللغات التي تراكب تطور العلم والتكنولوجيا وتؤدي إلى اكتسابهما وكالاهتمام البالغ بتنمية القدرات البشرية لشعوبنا وتوظيف هذه القدرات في سياسات التنمية التي نستهدفها اعتباراً لما للثقافة من دور في تأهيل العنصر الإنساني وإدماجه في محيطه القومي والعالمي بصورة تحفظ له توازنه بين الثوابت والمتغيرات.

حضرات السادة والسيدات،

إننا عندما نستحضر الإطار الأمثل للسياسة الثقافية التي ينبغي أن تنهجها الشعوب الإسلامية، لا يغيب عنا ما يواجه هذه السياسة من تحديات وعوائق تقف في وجه تطبيق أي استراتيجية ثقافية موحدة على مستوى العالم الإسلامي وهي تحديات داخلية وخارجية من بينها بروز الحركات القومية الضيقة والشغرات التجريبية والتخلف الفكري وشيوع الأمية إلى جانب العجز عن مواكبة النمو الديموغرافي بمتطلباته التربوية والثقافية، لكن أبرز تلكم التحديات هي هيمنة الفكر الوضعي والثقافة الغربية السائدة، فعالمنا اليوم لا تنفصل فيه قوة التأثير الثقافي عن قوة الهيمنة الاقتصادية

والتكنولوجية وعن قوة اللغة الساندة بما لديها من وسائل الإعلام والتواصل المحيطة بالكوكب الأرضي وعمما وراء هذا كله من سلطان سياسي قائم ولا يمكن تجاهل حجم هذا التحدي ذي الشعب الثلاث المعبر عنه بالعملة التي تخترق كل فضاءات مجتمعاتنا الإسلامية بكل أبعادها ومظاهرها.

أجل إننا نشعر بأن مجتمعاتنا لم تستطع حتى الآن الوقوف لصد هذا الاختراق ولا العبور إلى مرحلة التشارك في الإنتاج المادي والثقافي وتحقيق الاكتفاء الذاتي. ولا سبيل لنا إلى تحقيق ذلك إلا بالتخطيط المحكم والتشقيف المعقلن عن طريق انتهاج استراتيجية ثقافية إسلامية متكاملة فيها التوجهان الثقافيان: الوطني والإسلامي اللذان عليهما استيعاب مطالب المرحلة الراهنة في توحيد الصف الإسلامي والافتتاح على قيم الثقافة الإنسانية لتجاوز الانغلاق.

كما لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن التحدي الذي يواجه العالم الإسلامي كمتظومة من الدول المتضامنة ذات الرسالة الواحدة مما تفرضه شساعة العالم الإسلامي وغندة البشري وتعدد أجناسه ولغاته وخصوصياته. وأن خصوم هذا العالم أو خصوم الإسلام بصفة عامة ليقدرزون معنى وحدة العالم الإسلامي حق قدرها ومدى قوته الهائلة إن تحققت ولذلك يفتقون لها بالمرصاد حيثما مددتا لها سببا من الأسباب.

فعلينا أن نجعل من الفعل الشفافي المتضامن القائم على وحدة الرؤية والهدف المجال الأرحب الذي تلتقي فيه كل جهودنا وتصب في مجاريه كل طاقاتنا لإعداد أجيالنا الصاعدة الإعداد الذي يؤهلها لتحديات القرن المقبل إعدادا يجمع بين الاعتصام بدينها والتشبع بثقافته المحصنة لهويتها

الإسلامية لأنها وحدها ستعصم من فتن الشقاق والهجمات المعادية وإغواء
المادية العمياء. ولا شك في أن ملتقاكم هذا من أثنى فرص اللقاء في نهاية
هذا القرن لأنه سيتيح لكم الحوار الجاد يناسبه ولوج العالم الإسلامي الألفية
الشالشة بإرادة مشتركة حول تحقيق تنمية عالمنا الإسلامي تنمية متوازنة
يندمج فيها العقل الثقافي مع السياسات الهادفة إلى تحقيق النهضة
لشعبونا، وتحديث نظمها وإقرارها على التنافس المبدع في حلبة الإنتاج
والابتكار.

وفقكم الله وسدد خطاكم وأعانكم على تحقيق ما تسطع إليه الأمة
الإسلامية من عزة وكرامة وتمسك بدينها والتزام برسالتها.
«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت
الرحيم».

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.